قراءة نقدية في رواية

قواعد العشق الأربعون

تأليف الدكتور
أبو بكر الصديق عمر الفاروق القاضي

حقوق الطبع محفوظة

اسم الكتاب:

اسم المؤلف:

القطع: ١٢×١٧سم

عدد الصفحات: ١٦ صفحة

سنة الطبع: ١٤٤٠هـ-٢٠١٩م

رقم الإيداع

٢٠١٩/٣٢٧٠م

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فإن العصر الذي نحياه نشهد فيه الانفتاح الثقافي والثورة في عالم المعلومات والاتصالات حتى أصبح العالم كغرفة صغيرة، وهذا يرسخ مشهد العولمة، وإن من وسائل إيصال المعلومة وبناء الوعي وإنشاء الثقافة هو الأدب مما يتضمن من أنواع: أدب الرواية، والقصة القصيرة، والمقال، والمسرح، والشعر والنثر.

ولقد كان -وما زال- الأدب سلاحًا بتَّارًا في معركة الوعي بين أصحاب الحق وأصحاب الباطل في ساحة المعركة والكرامة، الكلمة والقلم أدوات هذه الرؤى والعقائد والأيدلوجيات قربت أو بعدت عن الحق المطلق من الوحيين الكتاب والسنة.

ونحن لا نهيب الناس بالتقوقع والتحوصل دون القراءة والاطلاع والبحث حتى نحميهم من الكم الهائل من الشبهات والشهوات والفتن التي تتسرب لهم باسم الفن والأدب والثقافة، ولكن نهيبهم بالتحصن أولًا ثم الانفتاح والاطلاع وتوسيع الآفاق والمدارك.

التحصن من خلال طلب العلم النافع من الكتاب والسنة مما يلزمه فهمه من مراتب الدين الإسلامي بأركانه الخمسة، والإيمان بأركانه الستة، والإحسان بركنيه، أن نصنع شخصية إسلامية مثقفة غير مشوهة ولا مخوخة ولا معوجة، تستقيم لها التصورات والرؤى والمفاهيم، ومِن ثَمَّ الأخلاق والسلوك والممارسات في شتى المجالات.

وفي هذا العصر تحتل الرواية في سوق الأدب والثقافة مكانة الذروة وترتفع فوق الصحافة والقراءة العلمية والفكرية وحتى الدراسة والتحقيق.

بعض الروايات تكون صادقة حية حارة بمعانيها وبأنفاس الكاتب ولغته الرشيقة ترسخ ما في نفسه في نفس القارئ من حق وباطل، وبعضها تافه سفيه مبتذل لا قيمة له إلا ترسيخ مبدأ السبهللة والفراغ الذهني والفكري والإيماني والوجداني، الحالة العدمية التي يحياها مجتمعنا مستهدفًا الشهرة والربح والانتشار فقط على سبيل المعنى والمضمون.

ولذلك يتضح من خلال هذه السطور إجابة هذا السؤال الذي يطل برأسه في ساحتنا الثقافية اليوم وهو: **هل الروايات خطوة في الثقافة؟** مع هذا الكم الهائل الذي يغرق الأسواق من الروايات باللغات المختلفة والمترجمة والتي تصل إلى حد الماركة المسجلة والأعلى مبيعًا وتداولًا حتى غابت -أو كادت- القراءة المنهجية العلمية والفكرية والإيمانية فضلًا عن مفهوم الثقافة الإسلامية، فضلًا عن مفهوم الثقافة أصلًا الذي هو من الثقف الوجد والإدراك وهو يتنوع ويتفاوت ويكتسب أهميته من المثقوف والمُدرك والمعلوم، في هذا التحدي ينبغي أن تتضح الإجابة.

إن الروايـة إذا توفـرت فيها شروط الذوق اللغوي الرفيـع والنحوي والمُحتوى الهادف الذي يرسخ قيم الحق والخير والجمال والمنظور الحق للموت والحياة بآلامها وآمالها وخيرها وشرها، فهي خطوة جادة للتعوُّد على القراءة وصناعة الوعي والخيال الخصب.

ولا يُكتفـى بهـا، بل هي خطـوة على الطريـق لتحبيب القـراءة للنفـوس، وهي شرعًا لا حرج فيها من باب ضرب الأمثال[1].

فـإذا غابـت اللغـة وأصبحت لغة مبتذلـة وعامية، والفحـوى ما بـين العدمية وما بين الانحلال والانحراف والشـبهات والشـهوات، فلا شـك أنها ليسـت خطـوة على مضمار الثقافـة، بـل تصبـح أداة للتسـفيه والتجهيـل والتغييـب عـن قضايـا الأمـة ونـصرة الحق والإغراقـات في حالـة عدمية وفـراغ ثقافي وإيـماني وغفلة عن مخططات الأعـداء الداخلية والخارجية في شكل كتاب وورق فاخر وأغلفة جذابة.

(١) كتاب التمثيل، بكر أبو زيد.

بين أيدينا في هذه السطور رواية، وقد وجدت رواجًا وتداولًا حتى أصبحت من أكثر الروايات مبيعًا، وهي رواية: (قواعد العشق الأربعون) لإليف شفاق -كاتبة روائية صوفية-، رفضت نسب أبيها بعد انفصاله عن أمها، وانتسبت إلى اسم أمها شفاق ناقمة على المجتمع الذكوري متعددة الميول الجنسية كما تقول عن نفسها وتفتخر بأنها صوفية تنتسب لجميع الأديان ولا تفرق بين حقائقها، وتعتقد بكلام ابن عربي الأندلسي وجلال الدين الرومي أن الله يحل في الإنسان ويقبع داخله.

تضمنت الرواية حبكة درامية وشخوصًا وأحداثًا في خطين من الزمن: متقدم ومتأخر متوازيين متبادلين، وهي رواية فكرية فلسفية وجودية من الطراز الأول، وخطرها في تمرير عقائد وأفكار منحرفة من خلال لغة الحب والعشق الخلابة التي تستلب الأسماع والأبصار وتأسر المشاعر وتستولي على مجامع النفوس كالسم الزعاف في العسل اللذيذ.

قواعد العشق الأربعون
نظرة كلية لأحداث الرواية وتحليلها من منظور شرعي

روايـة تتضمـن خطين زمنيين أحدهمـا في القرن الواحد والعشريـن وأحدهما في القرن الثالـث عـشر ومحورهـا الأصـلي حيـاة شـمس التبريزي صاحـب مدونـة قواعد العشـق الإلهـي الأربعون، وهو رجل من الصوفية المتفلسـفة الإباحيـة التي تدين بعقائد الحلول[١] والاتحاد[٢] ورفع التكاليف الشرعية عن الأولياء واسـتباحة الحرمات بالوصول إلى حقيقة

(١) اعتقاد أن الله يحل في ذات الولي.

(٢) الاتحاد أن الله والكون من الأصل وحدة واحدة.

الحب الإلهي والفناء، واستواء الأديان والشرائع إذا تحقق جوهر الدين من المحبة والعشق، وهذا يتطلب تفسيرًا باطنيًّا للقرآن، فضلًا عن إهمال السنة، وتقليل شأن النبوة والاحتياج إليها في تفسير الشريعة؛ لأنه -في زعمهم- يغني عنها الحقيقة التي يجدها الولي في قلبه من تحديث الله (حدثني قلبي عن ربي)، وحقيقة الفناء والاتحاد الذي تحدث بين الرب والعبد فيصير الرب عبدًا والعبد ربًّا حتى ينقل ويستدل بكلام البسطامي: (الله في عباءتي)!

شمس التبريزي حياته في الرواية تظهر من خلال رواية تقرؤها بطلة الرواية (إيلا) في العصر الحديث وهذه الرواية بعنوان (الكفر الحلو) تجد فيها (إيلا) ملجأ لها في هذا الفكر الصوفي الروحاني من مادية حياتها وروتينها وأنواع التدني الخلقي والمفارقات والاختلافات وعتمة الروح من الفواحش والمعاصي، فتجد في (شمس) نموذجًا للشخص المتدين الذي يفهم الدين على الحقيقة وقد وُلد قبل زمانه فهو أنضج من عصره فيستشعر بالغربة الشديدة

والاستيحاش بين أهل الدين الظاهر والالتزام بالشريعة الحشوية الذين يظهرون في الرواية أنهم أصحاب بطون جائعة وشهوات مشتعلة وقلوب قاسية وخدم للسلطان والسياسة وعُبَّاد المناصب والرياسات وغافلون تمامًا عن دعوة الخلق وخدمتهم ومشاركتهم آلامهم وحاجتهم النفسية والروحانية والمادية.

و(شمس) يظهر في صورة البطل المغوار الدرويش الذي يتحقق بمذاقات الدين وأشواق الروح والعارف الفاهم لمقاصد الشرع الذي تجري على لسانه الحكمة، ويبدأ في رحلته البحث عن رفيق في رحلته الروحانية مستمدًّا من قصة موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ والخضر القدوة والأسوة فيطرق مسامعه ذكر جلال الدين الرومي أحد فقهاء الأحناف عالم بالشريعة الظاهرة، خطيب مؤثر يزلزل القلوب والمنابر بخطبه الرنانة، فيرحل إليه ليكون رفيق دربه في رحلته الروحانية في سبيل العشق الإلهي، وفعلًا في طريقه يلتقي ببغي وسكير ممن تصورهم الرواية أنهم يعبدون الله في أعماقهم ولكن قد دُفن النور داخلهم بدخن

الشـهوات ويحتاجون لاسـتنقاذ ورحمة، وأن أهل الدين الظاهر ظلمة جفاة جهلة يقسـون عليهم قسوة عارمة ولا يمد لهم يد العون إلا (شمس).

ينطلق شمس إلى مجلس الرومي ويلتقي به ويبغته بسؤال: هل النبي أفضل أم أبو اليزيد البسطامي؟

في مواجهة واضحة صريحة بين الشريعة والحقيقة وأن الأولياء يسـبقون الأنبياء بدلالة قصة موسى والخضر ومفهوم الصوفية المنحرفة لهذه القصة[1].

ثـم يتكلـف الرومـي الجـواب المتنطـع الغير منطقي ثـم يفهـم الرسـالة ويتواصل مع (شـمس) في خلوات روحانية بعيدًا عن الناس، يصبح فيها شمس معلمه وشيخه وملهمه الأوحـد، يتحـول فيها الرومي من عالم بالشريعة إلى عارف بالحقيقـة يرمي كل كتبه في الماء

(١) «أصول بلا أصول» د. محمد إسماعيل المقدم، ورده على هذه الشبهة.

ويعتـزل الناس حتـى زوجه وأولاده مما يثير الأحقاد والشـكوك وتبدأ حملات شرسـة من الهجوم والنقد لشمس والرومي، وإشاعات الرذيلة والزندقة والكفر.

ويختلط شمس بعائلة الرومي كيرا زوجته، وسلطان ولد وعلاء الدين وكيميا اليتيمية الذي يرعاها ومنهم من يعاديه ومنهم من يُعجب به، ويتبين في سـياق الرواية أن (شـمس) مظلوم وقد أساءوا به الظن وهو لا يريد إلا الخير لجلال الدين.

تُظهـر الرواية أن شـمس وجـلال اتحدَا روحيًّا حتـى أصبحا واحدًا مـن خلال طريق العشـق، وأنه إذا تدمر أحدهم تدمر الثاني، وهذا نص كلام شـمس لعلاء الدين ابن جلال وهو معارض ومعادٍ له.

يتماهـي جـلال الدين تمامًا مع شـمس في نبذ الأحـكام الظاهرة والغرق فيـما يزعم أنه حقائـق الدين من التماهي مع العصاة لرحمتهم والقرب منهم والرقص والموسـيقى (تتبلور

فكرة رقصة سما المولوية) يتحد فيها الراقص بذرات الكون يرفع يدًا ويخفض أخرى ليأخذ الحب من السماء وينشره في الأرض، وهنا تحتد المواجهة الصريحة بين الشريعة والحقيقة التي يزعمون، فالصوفية افتعلوا صراعًا ونصروا حظوظهم وأذواقهم الشاذة وأهواءهم في هذه المعركة في الحقيقة!

* تنتقل الرواية في البلورة الفكرية لفكر (شمس) في التفسير الباطني للقرآن الذي يظهر في حواره مع كيميا في آيات من سورة النساء، ومساواة الأديان وأنها أصابع ليد واحدة في حواره مع كيرا التي كانت نصرانية وأسلمت وتزوجت من جلال الدين، وأنها تستطيع أن تحتفظ ؟؟؟؟؟؟ (سرك) مع الإسلام.

ونبذه للتعبد لله خوفًا ورجاءً وإنكاره لذلك حتى قال: (وددت أني أحرقت الجنة وأطفأت النار حتى يعبد الناس الله حبًّا فيه).

وتحلله من الشريعة بأخذه لجلال لدور الخمر والبغاء وأمره بشربها.

يهجر (شـمس) (جلال)، مرتين لشـدة الهجمة عليه من الناس الأولى لشره، ثم يأتي به سلطان ولد والثانية تكون فيها مقتلة ونهايته.

هذا يُذكي نار العشـق والشوق في قلب جلال فيهرف بالشعر والتغزل في شمس (هذا مما أثار الشكوك حول علاقتهما واتهامهم بالفاحشة).

والخلـط بين شـخصه وذات الإلـه، والتوجه إليه كالتوجـه إلى الله -تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا-.

ينشـئ كتبه ويصير جلال الدين عاشـقًا وفارسًـا للعشـق الإلهي ومولى العاشقين عبر الزمان من خلال هذه التجربة الروحية المنحرفة[1].

يُقتل شمس التبريزي اتهامًا بالزنقدة وتظهره الرواية أنه مظلوم لاتهامه بالزندقة.

(١) أخبار جلال الدين الرومي للقونوي. وألف المثنوي ٢٦ ألف بيت في الغزليات وشبهه بالقرآن في مقدمته.

إيلا في العصر الحديث تتأثر بالرواية، وكانت مشاهد الرواية الأصلية (القواعد) تنتقل بين هذا العصر وهذا العصر، وتأتي الفصول تحت أسماء الأشخاص المتبادلة في الروايتين لتحكي الصراع داخل كل شخصية.

إيلا تلتقي بعزيز أحد المتصوفة، ويكون هذا له أثر في حياتها وتجديدها والرجوع إليها بحيوية من خائنة معاشرة للجنسين إلى نفسية منضبطة.

ملخص البُعد الفلسفي
والعقدي في الرواية

– تتمحور الرواية حول إظهار الفكر الصوفي الفلسفي وأن فيه حقيقة التدين والأخلاق والسعادة والسلام العالمي من الحروب الدينية والسلام النفسي على مستوى الأفراد والشعوب متجاوزًا كل حقائق الشرع من الاعتقادات والتحرر من العبادات.

– افتعال الصراع بين الحقيقة[1] والشريعة وانتصار الحقيقة، وازدراء واحتقار الشريعة مع ازدراء أيضًا حاجة العباد إلى النبوة في تفسيرها مع احتقار من يعلمها ويدرسها ويطبقها،

(١) مقصودهم بالحقيقة الأحوال الباطنة في القلب، فهم يقولون أن العبرة بالقلب عند الله ولو عصى الإنسان وارتكب كل الموبقات. وهذا باطل؛ فإذا صلح القلب صلح الجسد كله أي: العمل الظاهر.

وإظهار حاجة الناس إلى الدراويش الذين هم الأولياء العارفون الحكماء -في زعمهم- دون أهل الظاهر الذين يلتزمون بالأحكام الشرعية الظاهرة.

- عقيدة الحلول ظاهرة في الرواية وتذويب قضايا الكفر والإيمان والولاء[1] والبراء[2] ومساواة الأديان ومساواة الكفر بالإيمان والحق بالباطل، فالحق عنده يتعدد ونسبي ولا سبيل إلى الوصول إلى الحق المطلق في ديانة بل ينبغي التحرر من الأديان للوصول إلى الحق المطلق، وهي أن تحب فقط فتصل للعشق الإلهي.

(١) والولاء هو الحب والنصرة والرضا للإيمان والمؤمنين.
(٢) صور البغض والتبرؤ من الكفر والكافرين.

- النظـرة الجبريـة للكفر والمنكرات، وأن هـذا قدر الله على من كفـر وعصى وهو يحبه ويرضـاه عـلى ذلك، وعـدم التفرقة بـين المصلح والمفسـد، والخلط بـين الإرادة الكونية[١] والإرادة الشرعية[٢].

- إنشـاء وإحـداث وابتـداع دين الخرافـة والأسـاطير والإلهامات والـرؤى والرقص والموسـيقى والرقص المولـوي بالتنورة والتعبُّد بهذا الخطل، والانعـزال عن العالم والخلطة بالمنكـر دون إنـكاره ولو اختلـط بالناس لا ينكر عليهم حتى لا يثـير اختلافًا وبلبلة، وهذا يرسخ السلبية.

(١) **الإرادة الكونية:** ما يريد الله كونًا وقد تحبه ولا يحبه ولابد أن يوجد.
(٢) **الإرادة الشرعية:** ما يريده شرعًا ويحبه ويرضاه وقد يوجد وقد لا يوجد.

- أي: يريـدون دينًـا مهترئًا لا ضابـط له ولا أحكام ولا تكليفـات ولا ثواب فيه ولا عقاب، وهذا أشبه بالإلحاد!